مخطوط "نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار تنفي عن المتكاسل الوسن في مناقب سيدي أحمد بن محمد وولده سيدي الحسن" للعربي المشرفي – تقديم وتعريف

The manuscript " A picnic of eyes for those with knowledge and introduction and definition by Larbi Lamcharfi clairvoyance"

د. الزهيد علوي

دكتوراه في التاريخ المعاصر – جامعة ابن طفيل بالقنيطرة – المغرب

zahidalaoui1@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/07/04، تاريخ القبول 2019/11/17، تاريخ النشر 2019/12/31

الملخص: تميز القرن 19 في المغرب بحركة تأليف واسعة شملت مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، لكن كثيرا من المخطوطات التي خلفتها هذه الحركة ما زال منسيا في مكتبات خاصة أو عامة، ومن هذا المنطلق تأتي هذه المساهمة في تقديم عمل لعالم بارز في منطقة المغربين الأقصى والأوسط. المخطوط الذي نضعه بين يدي القارئ هو " **نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار تنفي عن المتكاسل الوسن في مناقب سيدي أحمد بن محمد وولده الحسن** " لمؤلفه أبي حامد العربي المشرفي، وهو مؤلف في أدب الرحلة والتراجم، وزاد فيه صاحبه إفادات جمة في فنون مختلفة، شملت شتى مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية، فهو يعطي فكرة عن الأوضاع السائدة في المغرب والعالم الاسلامي خلال القرن 19م.

الكلمات المفاتح: نزهة الأبصار – العربي المشرفي– مغرب القرن 19 – الفكر الصوفي – سوس – المعسول

Abstract:The 19th century in Morocco was characterized by a wide writing movement that encompassed various aspects of political, economic, social and religious life. However, many of the manuscripts left behind by this movement are still forgotten in private or public libraries. This contribution contributes to the work of a prominent scholar in the far Maghreb and the middle.

The manuscript that we put in the hands of the reader is a " A picnic of eyes for those with knowledge and clairvoyance" by the author of Abu Hamid Larbi Lamcharfi, an author in the literature of the trip and translations, and increased the author's statements in many different arts, Social, economic and religious life. It gives an idea of the situation prevailing in Morocco and the Islamic world during the 13th century.

Keywords: A picnic of eyes - Larbi El mcharfi – Lhassan Etimkedichti - Morocco 19th century - Mystic thought – Souss - Lmaassoul - Library of Hassania.

مقدمة: يعتبر العربي المشرفي من المؤلفين الموسوعيين الذين تركوا بصمة واضحة في الساحة العلمية والثقافية بمغرب القرن19، وذلك بمؤلفاته المتعددة والمختلفة المشارب والمطالب، فكثيرة هي المخطوطات والكتب التي خلفها المشرفي، ونحى فيها نحو المنهج المتعدد الافادات، وعالج فيها قضايا مختلفة همت أوضاع المجتمع المغربي خلال هذه الفترة، ومن أهم هذه المؤلفات مخطوط " **نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار تنفي عن المتكاسل الوسن في مناقب سيدي أحمد بن محمد وولده سيدي الحسن**"[1] وهو مؤلف في أدب الرحلة والتراجم، لكن المشرفي زاد فيه إفادات جمة في فنون مختلفة، مكنته من إعطاء فكرة عامة عن الأوضاع السائدة في المغرب والعالم الاسلامي خلال القرن 13هـ/19م.

نحاول من خلال هذه المساهمة تقديم هذا المخطوط والتعريف به وبصاحبه، وذلك بالتركيز على الجانب المصدري والمنهجي فيه، و وإبراز قيمته التاريخية، وننتهي بدراسة نسخه.

أولا: التعريف بالمؤلّف.

يعرف المشرفي نفسه على أنه هو:" **العربي بن عبد القادر بن علي بن مسعود بن أحمد بن أبي جلال الأصغر بن أحمد بن أبي جلال الأكبر بن عمر بن الصديق**، ينتهي نسبنا إلى عيسى بن إدريس"[2].

وتفيد المقارنة بين مجموعة من الأخبار المتفرقة بين عدة نصوص بأن تاريخ ولادة المشرفي يرجع إلى بداية العقد الأول من القرن 19م[3]. وقد ازداد بقرية كرط بضواحي معسكر[4].

---

[1] – هذا المخطوط اشتغلنا على تحقيقه ودراسته خلال تحضيرنا لأطروحة الدكتوراه التي تمت مناقشتها بكلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة ابن طفيل بالقنيطرة سنة 2018.

[2]– المشرفي ع، **ديوان نظم في من أيقظ للدين جفن الوسن**، مخطوط، الخزانة الحسنية – الرباط، 5310، ص:111أ.

[3]– السملالي العباس بن ابراهيم، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية – الرباط، 1997، ط 2، ج 9، ص: 27. الفرقان الحسن، **أدبيات الأوبئة في مغرب القرن 19 نموذج أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي**، منشورات التوحيدي – الرباط، 2014، ط 1، ص: 11 – 12. أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الاسلامي – بيروت، 1990، ج 2، ص: 175. المشرفي، **ديوان نظم**، م س، ص: 112أ.

[4]– أنظر: أبو القاسم س، **أبحاث وأراء**، م س، ج 2، ص: 175. نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية – بيروت، 1980، ط 2، ص: 303.

أما الأسرة التي ينتمي إليها العربي المشرفي فهي أسرة مشهورة في غرب الجزائر بنسبها وحسبها، وبأدوارها التاريخية دينيا واجتماعيا وسياسيا، فالمصادر تجمع على النسب الشريف لهذه الأسرة، وتؤكد على أنها إدريسية النسب من الفرع الحسني[1]، وأنها حصلت من سلاطين الأتراك والعلويين على ظهائر تعترف وتثبت صحة نسبها الشريف، وهو ما جعل المشرفي ينشأ في بيئة عائلية مجبولة على ترسيخ مبادئ التربية المتأصلة في أوساط الزوايا والشرفاء، وتلقين أبناءها علوم عصرها، خصوصا وأن الأسرة كانت تمتلك مكتبة خاصة[2].

عاش المشرفي حوالي 90 سنة، قضى أكثر من نصفها بالمغرب، وأغلبها بمدينة فاس، وذلك في الفترة الممتدة من 1260هـ/1843م إلى 1313هـ/1895م، أي من فترة حكم السلطان عبد الرحمان بن هشام (1822 م – 1859م) إلى نهاية فترة حكم السلطان الحسن الأول (1873 – 1894)، وقد تكلف بعدة مهام وقام بعدة وظائف، كالتدريس، ونسخ الكتب، كما كلفه السلطان بشرح رسائله إلى بعض القبائل.

وقد عرف المشرفي بعلو كعبه في ميدان التأليف، حيث تميزت مؤلفاته بالغزارة وتنوع الحقول المعرفية. فقد برع في نظم القصائد مدحا وهجاء[3]، وألف في أدب الرحلة في مغرب القرن التاسع عشر، وترجم لعدد وافر من أعلام التصوف والأدب والفقه، وأعيان الحكم بالجزائر والمغرب، وتميزت تآليفه التاريخية بغناها من حيث المعلومات حول تاريخ المغرب والعالم الاسلامي، كما عبر من خلالها عن آرائه ومواقفه من أحداث ومستجدات عصره.

توفي العربي المشرفي سنة 1313هـ/ 1895م عن نحو 90 سنة، ودفن قرب ضريح الشيخ علي بن حرزهم خارج باب فتوح بفاس[4].

---

[1]– يتصل نسبها بعيسى بن إدريس الثاني، كما أن مرد جميع المشرفيين إلى جدهم سيدي علي بن مشرف، وهذا الأخير من ذرية شرفاء الأدارسة. أنظر: الفضيلي ادريس، **الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية**، (1999)، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية – الرباط، ج 2، ص: 154.

[2]– أبو القاسم سعد الله، **التاريخ الثقافي للجزائر**، دار الغرب الاسلامي – بيروت، 1998، ج 5، ص: 391.

[3]– لقبه النميشي بحطيئة زمانه. أنظر: النميشي ح، **تاريخ الشعر والشعراء بفاس**، طبع بفاس، 1924، ص:93.

[4]– ابن سودة عبد السلام، **إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع**، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، 1997، ط 1، ج 1، ص: 330. السملالي، **الإعلام**، ج 9، ص: 27، نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، ص: 303.

ثانيا: المشرفي وكتابه نزهة الأبصار.

بعد أن قدمنا العربي المشرفي بالصورة التي أمكننا تقديمه بها، اعتمادا على المعلومات التي زودنا بها عن نفسه، والمعلومات التي جاءتنا من الذين ترجموا له، ننتقل إلى دراسة أحد مؤلفاته التاريخية الرئيسية بحكم ارتباطنا الموضوعي به، وهو كتاب "**نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار تنفي عن المتكاسل الوسن**....".

I- دوافع التأليف ومصادر المشرفي في نزهة الأبصار.

1- دوافع التأليف.

ألف المشرفي هذا الكتاب سنة 1290 هـ / 1873 م[1] بطلب من الوزير **عبد الله بن أحمد**[2]، الذي كانت له محبة في السيد **أبي علي سيدي الحسن** بن **أحمد بن محمد الميموني التمكديشتي**، وخدمة لمقامه.

وفي ذلك يقول المشرفي:" والباعث على تسطير هذا الدفتر بعد الاستخارة النبوية، أن محب العلماء، [.....] السيد **عبد الله بن أحمد**، رئيس العسكر المحمدي، والجيش الأحمدي، له محبة في الجناب الطيني وخدمة للمقام الديني، مقام **أبي علي سيدي الحسن** بن الولي الصالح وقطب الدين الواضح **أبي العباس سيدي أحمد بن محمد الميموني** ثم التمكديشتي [.....] فأراد مني إظهارها صونا للمحبة، وعونا على إخلاصها، ورحمة للعامة، وشفقة على الذين يطلقون ألسنتهم في أمثاله، [.....] وقد ساعدته لوفق ما طلب

[1] – المشرفي العربي، **نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار تنفي عن المتكاسل الوسن في مناقب سيدي أحمد بن محمد وولده سيدي الحسن**، مخطوط الكتبة الوطنية بالرباط – المغرب، ك 579، ص: 14.

2 – هو من تولى إدارة وزارة الحرب (منصب العلاف الكبير) بين 1859 و1873م عند تأسيسها لأول مرة في المغرب في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان بعد هزيمة ايسلي، وهو عم الوزير والحاجب السلطاني أحمد بن موسى المعروف (بباحماد)، أنظر: سيمو بهيجة، **الاصلاحات العسكرية بالمغرب 1844 – 1912م**، منشورات اللجنة المغربية للتاريخ العسكري، المطبعة الملكية – الرباط، 2000، ص: 146، الشابي مصطفى، **النخبة المخزنية في القرن 19**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط، 1995، صص: 36 – 116 – 120.

مؤديا للحق الذي له علي وجب، إذ لا تسعني مخالفته في مثل هذه القضية، وقدمني لذلك دون العلماء الآجلة، والبدور الأهلة الذين غص مجلسه الكريم بهم"[1].

2 – المصادر التي اعتمد عليها المشرفي.

اعتمد المشرفي في كتاب " **نزهة الأبصار** " على مصادر كثيرة ومتنوعة، وتأتي في مقدمتها المصنفات، ثم الرواية الشفوية، ثم المعاينة الشخصية.

أ – المصنفات:

شكلت أهم مورد له في جمع مادته التي ضمنها كتابه، وهي مختلفة حسب صنوفها المعرفية، ويمكن أن نصنفها على الشكل التالي: كتب التاريخ والرحلات، وكتب الحديث المختلفة، وكتب السيرة النبوية، وكتب الفقه والعقائد، وكتب التفسير، وكتب التصوف والأخلاق، وكتب الآداب والحكم والفنون، والدواوين الشعرية والمنظومات، وكتب التراجم والأنساب، وكتب أخرى.

ب – الرواية الشفوية.

كان المشرفي على اتصال ببعض الأشخاص الذين كان يستقي منهم الأخبار أو شاركوا بأنفسهم في صنع الأحداث أو أنهم كانوا يشاهدونها عن قرب، فاستقى منهم الأخبار والمعلومات مباشرة، مما يعطي للخبر قوة توثيقية وأهمية مصدرية، ومن ذلك قوله:" شافهني بهذا تلميذه البركة سيدي عبد الله، وهو عدل شهادة وروايته صحيحة السند "[2]، وقوله في الفصل الأول: " ولا بد لي أن أذكر السبب الذي ألقى والد هذا الإنسان في المهالك حسبما تلقيته بالمشافهة من بعض الفقهاء السالكين لتلك المسالك"[3].

ج – المشاهدة والمعاصرة.

هذا النوع المصدري يعطي أيضا قوة توثيقية، ويؤكد على صحة الخبر، فقد كان المشرفي شاهدا على كثير من الأحداث، وحياة الكثير من الشخصيات التي ترجم لها في هذا المؤلف، ومن ذلك:

[1] – أنظر: **نزهة الأبصار**: ص: 3.
[2] – **نزهة الأبصار**، ص: 21.
[3] – نفسه، ص: 85

- وصفه في المقدمة للطريق التي قطعها من مراكش إلى زاوية تمكدشت، والأحداث التي صادفها، بما في ذلك وصفه لقرية ارزان[1].
- وصفه في بداية الباب الثالث للقطر السوسي من الناحية الطبيعية والبشرية[2].
- وصفه في الباب الخامس أيضا لبعض الأحداث التي عاشها العالم الاسلامي، ومنها أحداث احتلال الجزائر وأسباب ذلك[3].

II – المشرفي ومنهجه في نزهة الأبصار.

1 – منهج التأليف وترتيب مواد الكتاب.

يتضح من خلال العنوان، ومن خلال ما أشار إليه المشرفي في المقدمة، أن الكتاب مؤلف في مناقب أحمد بن محمد التمكدشتي وولده الحسن، غير أن المشرفي لم يتقيد بمضمون الكتاب، ولا بما أشار إليه في المقدمة، وأضاف إلى ذلك زيادات جمة، بينها مجموعة ضخمة من التراجم القصيرة، وأخبار منوعة عن المغرب والجزائر والعالم الاسلامي القرن 13 هـ، ومواضيع أخرى في السياسة، والفقه، والآدب، والتصوف، وغيرها، وذلك ما يشير إليه تصميم الكتاب.

وبذلك يمكن أن نقول أن كتاب " **نزهة الأبصار** " كتاب تراجم للصوفية والفقهاء والعلماء الذين لهم علاقة قريبة أو بعيدة بالشيخ أحمد التمكدشتي وابنه الحسن، وألفه المشرفي على نمط الذين ألفوا في التراجم والمناقب من قبله، خاصة ابن عطاء الله السكندري في كتابه " **لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن** "، حيث اعتمد عليه المؤلف بشكل كبير من ناحية المنهج والمضمون في الباب الثاني[4] الذي خصصه للتعريف **بالشيخ التمكدشتي** وابنه، وكان ينقل منه أحيانا فصولا بأكملها، إلى

[1] – نفسه، ص ص: 14 – 23.
[2] – نفسه، ص ص: 302 – 309.
[3] – نفسه، ص ص: 506-512.
[4] – أنظر: **نزهة الأبصار**، الفصول الثلاثة الأولى من الباب الثاني.

درجة أنه لا يكلف نفسه سوى استبدال اسم أبي الحسن الشادلي باسم الحسن التمكدشتي، أو اسم أبي العباس المرسي باسم أبي العباس التمكدشتي.

أما الباب الثالث فأفرده لعلماء سوس وفقهاءها خلال العهد السعدي، واعتمد في نقل مادته المصدرية بشكل أساسي على كتاب عبد الرحمان التمنرتي " **الفوائد الجمة في إسناد علوم هذه الأمة** "، وبذلك اضطر إلى الالتزام بمنهج التمنرتي في هذا الكتاب، باعتباره من كتب الفهارس التي خلفها المغاربة عامة، والسوسيون خاصة.

وخصص الباب الرابع لتراجم علماء مناطق مختلفة من المغرب خلال القرن 19م، واعتمد في ذلك على منهج معاجم الأعلام التي خلفها المغاربة، حيث نجده متأثرا بطريقة التأليف التي اتبعها القادري في كتابه " **التقاط الدرر** "، وابن فرحون في كتابه " **الديباج المذهب**"، وأحمد بابا التنبكتي في كتابه " **نيل الابتهاج** " و " **كفاية المحتاج** ".

إن عناية المشرفي بكتب التاريخ الأخرى، لم تجعله ملتزما بالتراجم والسير ومقتصرا عليها، فقد ضمن مؤلفه أخبارا متنوعة الموضوع مرتبة حسب السنوات، فخصص الفصلين الخامس والسادس لمجموعة الأحداث والأخبار في إطار منهج حولي كرونولوجي على أساس السنوات والعقود.

أما المقدمة والباب الأول والسابع فقد خصصها لقضايا مختفلة، ضمت في عمومها نصائح ومواعظ في السياسة الشرعية، ومدة الدنيا وأشراطها، والسفر وما جاء في الحث عليه، وبذلك كان يتبع كل مرة منهجا مختلفا حسب الموضوع وما يقتضيه.

2 – منهجه في التعامل مع مصادره.

من خلال تتبع نصوصه يظهر أن المشرفي تعامل مع مصادره بالطرق المتداولة في عصره، وكان أثناء نقله للنصوص من مصادرها يعتمد طريقتين:

✓ إما يشير إلى بداية النقل ونهايته باستعمال ألفاظ أو حروف مناسبة تعبر عن ذلك، كاستعماله حرف الهاء " هـ " وهو اختصار لكلمة انتهى، أو قوله مثلا:" قاله ابن فرحون في **ديباجه** "[1]، وقوله:" ما حكاه

[1] – أنظر: **نزهة الأبصار**، ص: 15.

القاضي أبو المعالي رحمه الله في كتابه **لوامع أنوار القلوب** "[1]، وقوله: " قال في **الفوائد الجمة** "[2]، وقوله:" إلى أخر القصيدة التي ذكرها صاحب **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب** "[3]، وقوله:" وكل ذلك ذكرناه في تأليف مستقل سميناه: **أقوال المطاعين في موت الفجأة والطواعين**"[4].

✓ أو ينقل من تلك المصادر دون التنبيه على ذلك، خصوصا عندما ينقل نصوصا طويلة من بعض المصادر، كاعتماده الكبير على كتاب "**المستطرف في كل فن مستظرف**" للأبشيهي " في المقدمة[5]، واعتماده على كتاب " **لطائف المنن** للسكندري " في فصول الباب الثاني[6]، واعتماده شبه الكلي على كتاب " **الفوائد الجمة** للتمنرتي " في الباب الثالث.

✓ وأحيانا لا يذكر النصوص بحرفيتها، وإنما يعبر على مضمونها، ولا يستعمل هذه الحالة إلا عندما يدخل مع مصادره في المناقشة[7]، وغالبا ما تكون طريقة المناقشة عنده معتمدة على منهج علماء الجرح والتعديل، وهذا ما نلمسه في ترجمته **لأبي زيد عبد الرحمان بن محمد الجزولي التمنرتي** صاحب كتاب " **الفوائد الجمة** " مثلا، خصوصا في رده على فتوى **أحمد بابا التنبكتي**[8] في إباحة التبغ.

ومما سبق يتبين أن المشرفي اعتمد مصدريا على من سبقه بالطرق المتبعة في عصره سواء في الاقتباس أو النقل أو في العرض أو التدخل النقدي، وقد طبق ذلك في قسم التراجم، وفي قسم الأخبار، فهو بذلك يجمع في تطبيق منهجه بين مؤلف التراجم وبين الاخباري، رغم أنه كان في الأخبار يعتمد في كثير من الحالات على النقل الحر، حيث الاحالة المصدرية عنده في الأخبار تعتمد على " حكاية السماع ".

---

[1] – **نزهة الأبصار**، ص: 313.

[2] – نفسه، ص: 314.

[3] – نفسه، ص: 432.

[4] – نفسه، ص: 501.

[5] – نفسه، ص: 26 – 30.

[6] – تابع الفصول الثلاثة الأولى من الباب الثاني.

[7] – أنظر الباب الثالث ترجمة أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الجزولي التمنرتي صاحب كتاب "**الفوائد الجمة**".

[8] – **نزهة الأبصار**، ص: 386.

3 – منهجه في العرض.

أما من حيث العرض والأسلوب فنجده خاضعا لتأثير عاملين:

- العامل الأول: طبيعة المادة وتنوعها، حيث نجده ينوع أسلوب ومنهج العرض حسب نوع المادة التي يعرضها، فأسلوبه في عرض التراجم كان دائما متأثرا بالبناء الذي يبني عليه هيكل الترجمة، فالتزم في طريقة بناءها ذكر لقب المترجم له واسمه ولقبه وكنيته ونسبته إلى مدينة أو قبيلة أو أسرة أو قطر، ثم يذكر مكانته العلمية والدينية والاجتماعية والسياسية، ولا يهتم بتاريخ الوفاة والولادة إلا نادرا، وهذا الهيكل الذي بنى عليه الترجمة، جعله يتبع أسلوبا موحدا، ويكاد يردد نفس العبارات والكلمات في كل ترجمة، اللهم إلا إذا اختلفت الأفكار والمضامين في التراجم، وعلى العموم كان المشرفي يحيط تراجمه بهالات من التبجيل والمثالية، وقلما يمارس أنواع النقد اللاذع والتقييم المبني على التجريح، فكلهم عنده جماعة من الأخيار الفضلاء الكرماء.

أما في عرض الأخبار، فغالبا كان يعرض الأحداث بشيء من الاختصار والدقة، بما يفيد فهمها في إطار سياقها وأسبابها، ويستعمل في ذلك أسلوب المؤرخ المختص، لكن ارتباطه بموضوع الكتاب وتعدد مجالاته المعرفية جعله يبتعد عن التفاصيل، مما جعل الأخبار عنده ناقصة، وغير محققة للمطلوب عند المهتم بالتأريخ.

- العامل الثاني: طبيعة الاختصار، وتزاحم الأخبار التي يذكرها؛ وهذا جعله لا يمتاز بالسلاسة والانسياب، وإنما ربطه باختيار العبارات والكلمات التي تؤدي المعاني المقصودة عنده.

III – مضامين الكتاب وقيمته التاريخية.

القيمة حكم يأتي بعد دراسة الانتاج وثائقيا، وقد نستمده من درجة التعامل معه والاعتماد عليه، فعندما ننطلق من ذلك كله لنصل إلى الحكم، نجد أن الجانب المصدري فيه موثق إلى حد كبير، كما نجد مستوى الاقتباس منه والاعتماد عليه واسعا جدا بين الباحثين الذين عرفوه واطلعوا عليه،

1 – مضامين الكتاب والجوانب الكبرى التي عالجها.

– أحداث القرن التاسع عشر وأعلامه.

أطلعنا الكتاب على جملة من الأحداث التاريخية التي شهدها المغرب والعالم الاسلامي خلال القرن 19م، حيث أرخ المشرفي لأهم الأحداث التي عرفها المغرب في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، كمعركة ايسلي وحرب تطوان، وبعض حملاته لضبط الأوضاع الداخلية، كما أنه يطلعنا على تراجم جملة من الأعلام بمناطق مختلفة من المغرب وخلال فترات تاريخية مختلفة، كما تطرق لمظاهر وعوامل تفكك الدولة العثمانية، وفقدانها لبعض أراضيها بشمال افريقيا كالجزائر[1]. ولم يغفل احتلال الفرنسيين في للجزائر وعوامل ذلك، ومقاومة الأمير عبد القادر[2].

– الفكر الصوفي والحركة الثقافية بالمغرب.

عالج هذا الجانب في جميع الأقسام، من بداية الكتاب إلى نهايته، والخيط الرابط في مادته التي أعطاها لنا عن الحركة الفكرية والثقافية في المغرب والعالم الاسلامي هو الفكر الصوفي ذو الاتجاه السني، ومن هنا جاءت الصورة التي تنطبع لدى القارئ للكتاب، صورة روحانية غارقة في المثالية، فكل شخصياته من هذا النموذج الذهني، فلا نكاد نجد عنده شخصية مستقلة في الرأي عن ذلك الاتجاه؛ كما عالج مجموعة من القضايا المرتبطة بالفكر الصوفي، كالكرامات، والرؤى والمكاشفات، والأقطاب والبركة، خصوصا في فصول الباب الثاني التي عقدها المؤلف للتعريف بالشيخ التمكدشتي وابنه؛ وبذلك يجد الباحث في الفكر الصوفي في الكتاب كتاب تصوف بامتياز.

– ملوك وأمراء الدولة العلوية والتزامهم بالسياسة الشرعية، والدفاع عن أمن واستقلال المغرب.

هذا الجانب تعالجه نصوص الكتاب بين ثنايا التراجم، وفي الأحداث التي يذكرها، ورغم تباين المادة التي يقدمها في مجموع الكتاب، فإننا نجد فيها صورة عامة للتاريخ السياسي للمغرب والعالم الاسلامي خلال القرن 19 م.

ومن الجوانب السياسية التي أشار إليها هي:

[1] – **نزهة الأبصار**، ص: 506 – 509.

[2] – نفسه.

- ✓ عرضه لكتاب طاهر بن الحسين في السياسة الشرعية، والتعليق عليه[1].
- ✓ التعريف بملوك الدولة العلوية وفترات حكمهم، مع التركيز على فترة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ومواجهته للأخطار الداخلية والخارجية، والتعريف بأبنائه وخلفاءه[2].
- ✓ التنظيم الاداري المركزي والاقليمي للمخزن المغربي في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان[3].

– الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والكوارث الطبيعية بالمغرب.

اهتم اهتماما معتبرا بالقضايا الاقتصادية الداخلية للمغاربة في عصره، رغم تركيزه على عنصر الأزمة، حيث ركز على موجة الجفاف وقلة المحصول وغلاء الزرع التي كانت تجتاح المغرب في بعض سنوات هذا القرن، ومن ذلك قوله: " ومنها أن عام أربعة وثمانين غلا الزرع غلاء مفرطا، حتى ابتيع المد الفاسي بأربعة عشر مثقالا [....] حتى فقد الزرع ولا وجود له "[4].

والجانب الاجتماعي الهام الذي نجد نصوص المشرفي تهتم به أيضا، هو مسألة الأوبئة والمجاعات التي انتشرت بالمغرب خلال القرن 19م، وقد ركز المؤلف على مرض " الطاعون والكوليرا "، وعقد حيزا مهما لهذه الأمراض في الباب الخامس، علاوة على الاشارة إليها في ترجمة بعض الشخصيات[5]، وحاول تفسير هذه المظاهر تفسيرا أخلاقيا، بربطها بانتشار مظاهر الفساد وسوء الأخلاق وانتشار الظلم واستبداد السلطة، وكل ذلك عنده موجب لغضب الله وعذابه، فهي عقاب إلهي على ما اقترفته أيدي البشر من ذنوب.

والبعد الاجتماعي عند المشرفي لا يقتصر على ارتباطه بالحياة الاقتصادية على مستوى الأزمات، وإنما يمتد إلى عناصر أخرى ترتبط بانتشار بعض العادات الاجتماعية، وهذا الجانب نلمسه عنده في اشارته إلى انتشار

[1] – نفسه، صص: 32 – 41.
[2] – نفسه. صص: 41 – 59.
[3] – نفسه.
[4] – نفسه: ص: 517 – 518.
[5] – أنظر أخر الترجمة التي عقدها للأمير مولاي أحمد ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان. **نزهة الأبصار**، ص:57

تناول المنبهات، ونقصد بها " التبغ والشاي "[1]، فهذه العناصر انتشرت بشكل واسع في المجتمع خلال هذا القرن.

– وصف المنشآت العمرانية والمعطيات الطبيعية.

ومن بين اهتمامات المشرفي التاريخية تدوين أخبار " التاريخ العمراني المغربي"، وقد سجل ما كان مرتبطا بالحياة الدينية كالمساجد والزوايا والأضرحة، والمنشآت المائية.

كما ركز على وصف الخصائص الطبيعية لمنطقة سوس، وما يمتاز به من جبال وسهول ووديان، وأشجار وأغراس، وخصوصا شجر الأركان الذي أكد على انفراد المغرب به دون غيره من الأقطار.

– فنون أدبية متنوعة.

الكتاب مهم من الناحية الأدبية، لأن المشرفي سلك في تأليفه مسلكا أدبيا ممتعا، يتجلى في أسلوبه الفني الجميل والممتع، وفي القصائد الشعرية والفنية التي تتخلله، وتعطيه نكهته الخاصة.

– أجوبة فقهية وقضايا دينية ترتبط بالأخلاق الاسلامية.

الكتاب مهم أيضا من الناحية الفقهية، لأنه يحتوي على أجوبة فقهية مهمة، تتسم بالعمق والتحري، كالنقاش الفقهي العميق الذي دخل فيه مع بعض مصادره بخصوص بداية انتشار ظاهرة التدخين بالمغرب والعالم الاسلامي والتي اتخذ منها موقف الكراهة. وعلى لسان أبي زيد التمنرتي عرض مختلف الآراء الفقهية التي عبر عنها فقهاء القرن 11 هـ/ 17م بخصوص بداية انتشار هذه الظاهرة.

كما أن الكتاب اهتم ببعض القضايا الدينية، كتخصيصه الباب السابع لذكر بعض الأخبار الواردة في مدة الدنيا، وجملة أشراطها التي تكون بين يدي الساعة، وتنصيصه على الكثير من الأخلاق الاسلامية في ثنايا الكتاب[2].

– جوانب أخرى.

[1] – أنظر الاشارة إلى الشاي في الفصل السابع من الباب الثاني، ص: 272، والاشارة إلى التبغ في الباب الثالث، ص: 386.
[2] – نفسه، صص: 532 – 538.

عالج المشرفي في مؤلفه الكثير من القضايا الأخرى ذات الأهمية القصوى، ومنها ما ركز عليه في الباب السادس بخصوص الصناعة والمخترعات المرتبطة بالمصالح الدنيوية، حيث عرض رأي **ابن خلدون**، معتمدا على ما أورده في **مقدمته** حول أنواع الصنائع، كما ميز مدينة فاس ومدينة مراكش من حيث العمران وأنواع الصنائع والحرف، والفنون، واعتبر أن مدينة فاس أكمل في ذلك وأوسع من مدينة مراكش[1].

وأبرز المشرفي التفوق الكبير للصناعات والمخترعات الأوروبية والتركية، وربط ذلك بكثرة تصرف هؤلاء في علم الهندسة التي مكنتهم من اختراع المطبعة والسفن البخارية. واعتبر أن كل ما اخترعوه قد عم نفعه البشرية وفيه مصلحة للمسلمين، وسهل لهم قضاء حوائجهم الدينية والدنيوية، وضرب مثلا لذلك بالسفن البخارية التي قصرت مدة السفر لأداء فريضة الحج وقللت من مشاقه[2].

2 – الباحثون وكتاب نزهة الأبصار.

هناك ثلة من المؤرخين والباحثين اهتموا بالكتاب، وجعلوه مصدرا أساسيا لاستقاء مادتهم المعرفية والتاريخية وغيرها، وقد اعتمده بالدرجة الأولى وبشكل كبير الذين كتبوا في موضوعه، خاصة الجانب التاريخي منه المتعلق بالتراجم، إذ جل الذين كتبوا بعده في التراجم، اعتمدوا عليه، واستفادوا منه، واتخذوه مصدرا من مصادرهم، ومن أهم الكتب التي اعتمت عليه:

أ – المصادر:

– المعسول للمختار السوسي: بدأ تأليفه سنة 1355هـ/ 1936م، واعتمد فيه السوسي على كتاب **نزهة الأبصار** بشكل كبير، خصوصا عند ترجمته للحسن التمكدشتي، وذكر ما حصل بينه وبين الحسن الارازاني، وذكره لتلامذة التمكدشتي[3]، ولعل شهادة السوسي تدل على أحد عناصر التألق في كتاب **النزهة** ، فعند إثارته لدواعي تأليف موسوعته الضحمة " **المعسول** " أشار إلى أن أخاه أحمد خاطبه قائلا:" إن كنت لا بد كاتبا، فهيئ لنا كتابا عن إلغ وعن كل ما مر فيه من العلماء والأدباء، ليكون لنا ككتاب آل زاوية

[1] – نفسه، ص: 522.
[2] – نفسه، ص : 527 – 528.
[3] – نفسه، صص: 261 – 321.

تيمكدشت الذي ألفه العربي المشرفي الفاسي، فكانت هذه الكلمة من الأخ هي البذرة الأولى من هذا الكتاب ".[1]

– **خلال جزولة للمختار السوسي**: ألفه سنة 1379هـ/ 1959م، واعتمد في الجزء الثالث منه من الصفحة 205 إلى الصفحة 217 على **النزهة** في ترجمة لبعض الرجال، فقال:" وقد كنت اتصلت هناك برحلة المشرفي إلى تمكدشت، فنقلت منها بعض أمور باختصار، وسأذكر هنا الرجال الذين لم نستفدهم إلا من هناك ".[2]

– **سوس العالمة للمختار السوسي**: ألفه سنة 1379هـ/ 1959م، عرف فيه السوسي بالكتاب، واعتبره كثير الفوائد رغم قوله عن المشرفي أنه يستطرد فيه كثيرا[3].

– **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم السملالي**: ألفه سنة 1327 هـ/ 1909م. اعتمد على كتاب **النزهة** في ترجمة الحسن بن أحمد التمكدشتي، وقال:" وقد ألف المؤرخ السيد العربي بن علي المشرفي كتابا في مجلد ضخم سماه **مناقب أهل تمكدشت**، وذكر فيه تلامذة المترجم وتلامذة والده "، وهو يعني بكتاب المناقب (**نزهة الأبصار**) حسب ما ورد في تعليق الأستاذ عبد الوهاب بان منصور مؤرخ المملكة[4].

– **روضة الأفنان في وفيات الأعيان لمحمد بن أحمد الإكراري**: ألفه سنة 1351هـ/ 1932، واعتمد فيه الإكراري في التعريف ببعض من ترجم لهم، خصوصا أحمد التمكدشتي وابنه الحسن[5].

– **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع لعبد السلام بن سودة**: انتهى من تأليفه سنة 1370هـ/ 1951م. عندما لاحظ ابن سودة أنه أغفل في كتابه هذا الحديث عن علماء سوس، وأن ما

---

[1] – السوسي المختار، **المعسول**، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، 1960، ج 1، ص: هـ.

[2] – السوسي المختار، **خلال جزولة**، المطبعة المهدية – تطوان، ص: 205.

[3] – السوسي محمد المختار، **سوس العالمة**، مطبعة فضالة – المحمدية – المغرب، ط 1، 1960، ص: 216.

[4] – أنظر: السملالي ، ج 3، ص: 171.

[5] – الإكراري محمد بن أحمد، **روضة الأفنان في وفيان الأعيان**، تحقيق حمدي أنوش، منشورات كلية الآداب – أكادير، ط 1، 1998، صص: 168 – 174.

ذكر منهم قلة؛ ارتأى الاعتماد في سد هذا النقص على كتاب **نزهة الأبصار**، فقال:" وعندما وصلت إلى هذا المقام لاحظت عدم ذكر علماء القطر السوسي الشهير بالمغرب وأن ما ذكر منهم قلة، وهذه الوفيات عامة ليست مخصصة بمحل دون غيره، ومن حسن الصدف وقفت على كتاب نزهة الأبصار [.....]، فوجدته ذكر فيه عدة تراجم لعلماء القطر السوسي، غير أنه لم يعتن بذكر سنوات الوفاة، إنما اعتنى بذكر نسبهم ووصفهم بحالتهم العلمية، ومن أجل ذلك ارتأيت أن أنقل في هذه الخاتمة لهذه المائة كل من ذكره حسب ترتيبه لا حسب الحروف الأبجدية "[1].

ب – الدراسات:

– نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار، المغرب نموذجا لأحمد العماري: ألفه سنة 1992م، واعتمد فيه على النزهة في التعريف ببعض الأعلام كمحمد الفلاق السفياني، والغالي اللجائي[2].

– خطط المغرب الشرقي لبدر المقري: ألفه سنة 2006م، واعتمد فيه على **النزهة** في ترجمة العديد من علماء وجدة ونواحيها خلال القرن 13هـ/19 م، وكان ينقل منه نصوص كاملة[3].

اعتمد بعض المؤرخين على كتاب **نزهة الأبصار** في التأريخ لبعض مظاهر التحديث في المغرب خلال القرن 19 م، ومن أهم الكتب التي استفادت منه:

– مظاهر يقظة المغرب الحديث لمحمد المنوني: ألفه سنة 1972م، واعتمد فيه على **النزهة** أثناء حديثه عن دخول المطبعة إلى المغرب، فقال:" ونذكر هنا أن دخول هذا الجهاز المطبعي للمغرب صادف استحسانا، وكان ممن أعلن عنه اللجائي في **المفاخر العلية**' ثم العربي في **نزهة الأبصار**، كما أن بعضهم أنشأ قصيدة ضمنها مدح هذه المطبعة "[4].

---

[1] – أنظر: ابن سودة عبد السلام، **إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع**، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، 1997، ط 1، ج 1، ص: 285.

[2] – أنظر: العماري أحمد، **نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار**، المغرب نموذجا لأحمد العماري، المعهد العالمي للفكر الاسلامي – فيرجينيا، ط 1، 1997، ص: 315 مثلا.

[3] – أنظر: المقري بدر، **خطط المغرب الشرقي**، منشورات وزارة الأوقاف – الرباط، ط 1، 2006، ص: 186 – 187 مثلا.

[4] – أنظر: المنوني محمد، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، مطبعة الأمنية – الرباط، ط 1، 1973، ص: 212.

– **الجزائريون بالمغرب لمحمد أمطاط:** ألفه سنة 2007م، واعتمد فيه على **النزهة** لتوضيح سبب اختيار المهاجرين الجزائريين للمغرب دون غيره من دول العالم الاسلامي.

– " **نزهة الأبصار للعربي المشرفي، تعدد الافادات** " لأحمد المكاوي: مقال منشور بمجلة كلية الآداب الجديدة، عدد 2، 1995، ص ص: 59 – 71.

IV – نسخ المخطوط.

من خلال عملية البحث والتحري التي قمنا بها طيلة اشتغالنا على هذا المخطوط، توصلنا إلى نتيجة مفادها أن كتاب " **نزهة الأبصار**" توجد له خمس نسخ في الأغلب وهي:

- نسخة بزاوية تمكدشت وهي النسخة الأصلية على الأرجح.
- نسخة بمكتبة بلدية وهران بالجزائر.
- نسخة توجد بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم: ك 579. (متوفرة لدينا)
- نسخة توجد بخزانة المدرسة النحلية بقرية مزوضة بإقليم شيشاوة. (متوفرة لدينا)
- نسخة توجد بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 5616. (متوفرة لدينا)

1 – نسخة المكتبة الوطنية بالرباط: ك 579.

توجد هذه النسخة بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم ك 579، وهي في حالة لا بأس بها، لكنها مبتورة الأول والآخر، تحتوي على 543 صفحة، مقياس 26×18 سم، وكل صفحة تتألف من 25 سطر، وكتبت هذه النسخة بخط أندلسي واضح، أسود ومحلى بالأحمر.

وقد أكدت الدراسة أن هذه النسخة هي أجود النسخ وأقربها إلى الأصل، وذلك لعدة اعتبارات أهمها: نسخها وتداولها في حياة المؤلف، و الورق والخط، وقلة الأخطاء.

2– نسخة خزانة المدرسة النحلية.

توجد هذه النسخة بخزانة المدرسة النحلية بقرية مزوضة بإقليم شيشاوة، أُكمل نسخها في إحدى جُمَع رمضان 1303 هـ/ يونيو 1886م، أي بعد تأليف الكتاب ب 13 سنة، وقبل وفاة المؤلف ب 10 سنوات، لكنها لا تحمل اسم الناسخ.

تتكون من 511 صفحة من قياس 23 × 18 سم، وكل صفحة بها 20 سطرا باستثناء الصفحة الأولى بها 11 سطرا، والصفحة الأخيرة 12 سطرا.

3 – **نسخة الخزانة الحسنية بالرباط: 5616.**

توجد هذه النسخة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 5616، وهي نسخة تامة بخط مغربي متوسط الجودة، ملون ومجدول، مزخرف الديباجة، تقع في 348 ورقة (695 صفحة)، مقياس 22 × 17، وكل صفحة بها 19 سطرا باستثناء الصفحة الأولى بها 7 أسطر، والصفحة الأخيرة 8 أسطر، وهي عارية من اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

قائمة المراجع:

- ابن سودة عبد السلام، (1997)، **إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع**، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، ط 1، ج 1.
- أبو القاسم سعد الله، (1990)، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الاسلامي – بيروت، ج 2.
- أبو القاسم سعد الله، (1998)، **التاريخ الثقافي للجزائر**، دار الغرب الاسلامي – بيروت، ج 5.
- الإكراري محمد بن أحمد، (1998)، **روضة الأفنان في وفيان الأعيان**، تحقيق حمدي أنوش، منشورات كلية الآداب – أكادير، ط 1.
- أمطاط محمد، (2008)، **الجزائريون بالمغرب ما بين سنتي 1830 – 1962**، دار أبي رقراق – الرباط، ط 1.
- الذهبي شمس الدين، (1415هـ)، **ترتيب الموضوعات لابن الجوزي**، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1.
- السملالي العباس بن ابراهيم، (1997)، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية – الرباط، ط 2، ج 9.
- السوسي المختار، **خلال جزولة**، المطبعة المهدية – تطوان،.

- السوسي المختار، (1989)، **رجالات العلم العربي في سوس**، هيأه للنشر وطبعه ابنه عبد الوافي المختار السوسي. مؤسسة النشر والتوزيع للشمال – طنجة.
- السوسي محمد المختار، (1960)، **سوس العالمة**، مطبعة فضالة – المحمدية – المغرب، ط 1.
- السوسي المختار، (1960)، **المعسول**، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، ج1.
- سيمو بهيجة، (2000)، **الاصلاحات العسكرية بالمغرب 1844–1912م**، منشورات اللجنة المغربية للتاريخ العسكري، المطبعة الملكية – الرباط.
- الشابي مصطفى،(1995)، **النخبة المخزنية في القرن 19**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط.
- الفرقان الحسن، (2014)، **أدبيات الأوبئة في مغرب القرن 19 نموذج أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي**، منشورات التوحيدي – الرباط، ط 1.
- العماري أحمد، (1997)، **نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار**، المغرب نموذجا لأحمد العماري، المعهد العالمي للفكر الاسلامي – فيرجينيا، ط 1.
- الفضيلي ادريس، **الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية**، (1999)، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية – الرباط، ج 2.
- القيسراني محمد بن طاهر، (1416هـ)، **ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ الذخيرة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، دار السلف – القاهرة، ط 1.
- المشرفي العربي، **ديوان نظم في من أيقظ للدين جفن الوسن**، مخطوط، الخزانة الحسنية – الرباط، 5310.
- المشرفي العربي، **نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار تنفي عن المتكاسل الوسن في مناقب سيدي أحمد بن محمد وولده سيدي الحسن**، مخطوط الكتبة الوطنية بالرباط – المغرب، ك 579.
- المقري بدر، **خطط المغرب الشرقي**، منشورات وزارة الأوقاف – الرباط، ط 1، 2006.
- المنوني محمد، (1991)، **تاريخ الوراقة المغربية**، منشورات كلية الآداب – الرباط، ط 1.

- المنوني محمد، (1973)، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، مطبعة الأمنية – الرباط، ط 1.
- النميشي ح، (1924)، **تاريخ الشعر والشعراء بفاس**، طبع بفاس.
- نويهض عادل، (1980)، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية – بيروت، ط 2.